ذكريات العيد

كلما يمرُّ العيد أتذكر أيام الطفولة وأحن إليها، فمن منا لايشعر بذلك؟ أهنالك طفولة غير سعيدة في العيد؟ لا أعتقد إلا قليلاً وفي حالات نادرة، ولكن! بإمكاننا أن نحيي مراسم طفولتنا عبر الأطفال الذين من حولنا، فنعطيهم «العيدية» حتى قبل أن يقولوا: «عيدكم مبارك وعساكم من عوّاده» ويكفي أن نلمح تلك النظرة البريئة الفَرِحَة لحظة استلام «العيدية» ونشعر حينها أن مشروعاً بريئاً يقف خلف هذه النظرة السعيدة والابتسامة الكبيرة المرسومة على تلك الأوجه البريئة النضرة، والمشروع هو شراء كل شيء جميل تمنوا شراءه بعد تجميع «عيدية العيد»!

وبهذا نكون قد أحيينا طقوس طفولتنا الجميلة في أيام العيد ونكون شعرنا ولو ببعض الشيء بذلك الشعور النقي البريء.

أتذكر كيف كنّا نتنافس أيام الطفولة للحصول على أكبر كمية من «العيادي»، وكنّا نذهب للسلام إلى كل أفراد الأسرة الكبار فنجد الخير الوفير منهم! ولكن حظ الأولاد في الحصول على أكبر عدد من «العيادي» هوالأوفر دوماً من البنات، فهم يذهبون مع الرجال إلى كل بيت وفي كل مجلس يذهبون إليه مع آبائهم

وإخوانهم الكبار ما يجعل حصاد «عياديهم» أكبر، وجرت العادة قديماً أن الرجل إذا ما صافح الأطفال في العيد فلابد أن يعطيهم «عيدية» وإلا فقد يكون حديث الأمهات، فالأطفال غالباً ما كانوا يخبرون أمهاتهم عن أخبار «العيدية» ويخبرونهن بأن فلاناً قد أعطاهم عيدية وآخر امتنع واكتفي بمصافحتهم.

ومن الأمور التي تضحكني اليوم كلما تذكرتها أنني أنا وأخي كنا نجلس عند باب منزلنا مع أطفال آخرين ويقوم كلٌّ منا بعرض عيديته أمام الآخر، ولكن من لم يأخذ «عيادي» كثيرة كان يكتفي بالمشاهدة بينما الآخرون يقومون بالسخرية لإحساسهم بأنه ليس لديه «عيادي» كثيرة مثلهم، وكنّا نضحك جميعنا في هذه الأثناء حتى صاحب «العيادي القليلة».

ومن الأمور الصادمة لي أنا وأخي في أول أيام العيد أننا حين خرجنا خلسة صباحاً إلى الدكان القريب وجدنا سعر الألعاب قد ارتفع قليلاً، فسألنا صاحب الدكان عن سبب ذلك فقال: «بالأمس لم يكن عيداً بل اليوم! إذن السعر يصبح مختلفاً أيضاً» فنظرنا إلى الألعاب التي أردنا شراءها بحزن فقد جمعنا «العيدية» التي تكفي لشراء الألعاب التي شاهدنا بالأمس، فقال سريعاً: «لاتحزنا! سأعطيكما الألعاب بسعر الأمس» ففرحنا واشترينا

الألعاب. العيد في أيام الطفولة أمر لا يمكن لإنسان أن ينساه، إنها صور مضيئة وراسخة في أعماقنا.

حنة العيد

من سنن ديننا السمح أنه دعانا إلى التجمّل في العيد، فالرجل يرتدي أجمل ما لديه، بينما المرأة تتزيّن وتتجمّل في بيتها أمام أهلها ومحارمها، وتعتبر الحنة من أهم زينة المرأة والفتاة في العيدين، وللأسف قد لا تجد أي امرأة صالون تجميل واحداً شاغراً لتحنيّ يديها فيه، ومن باب التجربة فقد سألت «حنّاية» عبر الهاتف عن إمكانية حضورها عندنا إلى المنزل لوضع الحنة فأجابتني أنها مشغولة لفترة تمتد أسبوعاً كاملاً إلى أول أيام عيد الفطر السعيد! وبعد أيام نظرتُ إلى رسم كاريكاتيري في صفحة الاتحاد الأخيرة يشير إلى حدوث معارك بين النساء في مبنى صالون تجميل بينما الأيادي متشابكة بالعراك إلى خارج السقف. ابتسمت وتذكرت صاحبة الحنة التي اعتذرت، فعلى كل موهوبة في الرسم الآن أن تجرّب مواهبها في الرسم بالحنة على أيدي قريباتها، وكل عام وأنتم بخير.

1929 - 2009 م

إنه ليس بتاريخ ميلاد إحدى الشخصيات الأدبية؛ وإنما تاريخ ميلاد حب ندر وجوده في هذه الحياة. ففي عام 1929م التقى جيم هادوين حين كان في الخامسة بزوجته مويرا التي تعيش معه إلى يومنا هذا، وفي صورة لهما رأيتها على أحد المواقع الأجنبية أعجبتُ بنظرة السعادة التي تنضح من نظرتيهما معاً وقلت ما شاء الله هذا الحب الذي حكت عنه الأساطير!

«إننا نقضي حياتنا معاً ولن نقوم بتغيير أي شيء فيها، فما زال كل منا يُضحك الآخر ونحن سعيدان بقضاء حياتنا معاً، هناك تماثل كبير بيننا ونتجادل أحياناً كأي زوجين ولكننا منسجمان بصورة هائلة، ونعلم أنه من السخف أن نتشاجر على الأشياء التافهة. مويرا عقلانية جداً وصبورة ولا أدري كيف كان سيكون عليه شكل حياتي إذا لم أكن قد التقيتها، كل يوم رائع بوجود مويرا» هذا ما قاله البريطاني جيم هادوين عن زوجته المحبة.

لقد فرقت بينهما الأيام في شبابهما ومرّت الحرب العالمية الثانية ولكنهما بقيا حبيبيْن إلى أن انتهت الحرب وعاد كل منهما إلى بريطانيا، والجدير ذكره أن جيم أثناء الحرب العالمية كانت معه

ثلاث صور في كل جيب من زيّه العسكري كان يضع صورة مويرا كي لا تفارقه! من يشاهد صورتهما معاً يحسب أنهما في عزّ شبابهما، فشباب قلبيهما بدا أكثر نضارة ولم يشيب أبداً ولكن الأجساد هي التي تضعف، كثير من الأزواج تجد شباب قلبه قد يلحقه الشب سريعاً لعدم وعيه بمعنى الحب الحقيقي! فهلاّ قرأ هو وزوجته عن سر الشباب في هذه القصة؟

ما هذا؟

في صباح أحد الأيام المشرقة؛ جلس شاب مع والده المسن على كرسي حديقة المنزل تحت ظل أغصان الأشجار الفارعة المحيطة بالمنزل، وبدأ في قراءة الجريدة بينما يتأمل والده المسنّ جمال الطبيعة وهو بالقرب منه، وكانت العصافير الصغيرة تغرّد وتطير في الحديقة وتهبط من الأشجار إلى الأرض أمام ناظري الأب المسنّ.

وبينما كان ينظر الوالد إلى هذه العصافير التفتَ إلى ابنه ثم نظر إلى العصفور الذي هبط إلى الأرض وأشار إليه ثم سأل ابنه: ما هذا؟

فأنزل الابن الجريدة عن وجهه ونظر نظرة سريعة إلى ما يشير إليه والده فأجابه: إنه عصفور! ثم عاد ورفع الجريدة ثانية ليكمل قراءتها، وبعد خمس ثوانٍ هبط عصفور آخر على مكان آخر من

الحديقة وسأل الوالد ابنه مرة أخرى عن العصفور: ما هذا؟

فأنزل ابنه الجريدة في ضيق وقال: للتوّ أخبرتك إنه عصفور! وللمرة الثالثة سأل ابنه مشيراً إلى العصفور: ما هذا؟ فأنزل ابنه الجريدة بغضب ورفع صوته وبغضب أجابه: عصفور!عصفور! عين صاد.. فاء واو راء! ولكن والده لم يكتفِ بطرح السؤال لثلاث مرات بل أردفها بمرة رابعة، فنفد صبر الابن واستشاط غضباً وأمسك جريدته بغضب وصرخ بقسوة في وجه أبيه: عصفور عصفور عصفور يا أبي إنه عصفور لماذا تفعل بي ذلك لقد أخبرتك أنه عصفور مرات عديدة؟

فنظر الأب إلى ابنه نظرة حزينة وأشار بيده لابنه بأن ينتظره ليأتي بشيء من داخل المنزل، ثم صمت الابن متضايقاً مما فعله والده به ومستغرباً في آنٍ واحد مما سيجلبه له؟

فخرج الوالد المسن من المنزل متوجهاً إلى الكرسي الذي يجلس عليه ابنه حاملاً معه دفتراً، وحين جلس قرب ابنه أمسك يده بحنو ثم طلب منه أن يقرأ صفحة فتحها من الدفتر؛ فأمسك الابن الدفتر وطلب منه والده أن يقرأ الصفحة بصوتٍ عالٍ ثم قرأ: «اليوم ولدي البكر وقد بلغ من العمر ثلاثة أعوام كان يجلس معي في الحديقة وعندها حلّ أمامنا عصفور، ولدي سألني إحدى وعشرين مرة ما

هذا يا أبي؟ وأجبته إحدى وعشرين مرة أنه عصفور! كنت أعانقه في كل مرة يسألني، ويعيد عليّ ذات السؤال! مرة بعد أخرى، دون أن يستثير ذلك غضبي بل كنت أشعر بالمودة نحوطفلي البريء الصغير!»

توقف الابن عن القراءة وقد «خنقته العبرة» وعانق أباه وضمه طويلاً إليه ثم قبّل رأسه نادماً، لقد كان الدفتر دفتر مذكرات الأب حين كان بعمر ابنه.

لقد شاهدت هذا الموقف الرائع عبر مقطع فيديو وصلني عبر إحدى الرسائل الإلكترونية، ووددتُ أن أنقله لكم بروعة تصميم فكرته وإخراجه، وأعتقد أن من سيشاهد هذا المقطع في شبكة الإنترنت سيقشعر بدنه في المقطع الأخير منه؛ فقد أتى صوت القارئ عبدالباسط عبدالصمد رحمه الله مباشرة بعد تقبيل الابن رأس والده عند قوله سبحانه وتعالى: ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أفّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً «23» واخفض لهما جناح الذّلّ من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾.(((الإسراء: 23، 24))).

دماء زرقاء!

العنصرية سلوك مرفوض إنسانياً وهو يقوم على أساس فكرة التمييز والتفرقة بين الآخرين، وقد خلّفت العنصرية صراعات طويلة وحروباً ضارية منذ عصور قديمة ومعاصرة فيما بين البشر في كل الأمم وخاصة في جنوب أفريقيا وقارة أمريكا ودول أخرى، ففي أزمنة قديمة مرّت كان ذوو البشرة السوداء يتعرضون للإبادة الجماعية لا لذنب اقترفوه ولكن لأنهم وُلِدوا قاتمي البشرة!

لذلك فقد نهى ديننا الكريم عن التمييز فيما بين الناس وفق لون بشرتهم أو دينهم أو هويتهم، وأمر بالمساواة في التعامل وإعطاء كل ذي حق حقه مهما اختلف حجمه أو لونه أو لسانه،ولا يجوز أيضاً السخرية من أي إنسان يقلّ عنا اجتماعياً أو دراسياً أو يختلف عنا في دينه أو هويّته، فإن فعلنا ذلك نكون قد عدنا إلى عصر الجهل والتخلف وارتكبنا ذنباً كبيراً.

جميعنا قد خلقنا الله سبحانه وتعالى من التراب، فلمَ الكِبَر والتمييز فيما بيننا وكلنا بشر من دم واحد وأبونا آدم عليه السلام؟

أوراق أضعناها

كما أن لكل منا في الحياة فلسفة ينتهجها ويبني عليها خطط سيره فيها؛ فإن لديّ قناعتي وفلسفتي الخاصتَيْن في تقييم الأمور من حولي، وفلسفتي تذهب إلى أن لكل إنسان نعرفه أو عرفناه يوماً دفتراً خاصاً به؛ ولكن هذا الدفتر نحمله في قلوبنا؛ ولكل فرد الحرية ليحتفظ بهذا الدفتر أو أن يهمله؛ فتخيلوا كم دفتراً بإمكان قلوبنا أن تحمل؟

قد يترك كثير منا دفتر كل شخص دون شطب أو تصحيح؛ وقد يقوم البعض بعكس ذلك! وإننا لفي حاجة إلى هذا التنسيق الإنساني في أعماقنا! فترك دفاتر الأشخاص مليئة بأخطائهم فيها قد يتعب قلوبنا على حملها في أعماقنا! لابد من إلقاء نظرة سريعة على أوراق كل دفتر نحمله لكل شخص عرفناه؛ لايجب أن نكتفي بطي صفحات خطايا الآخرين في حقنا دون مراجعة؛ ولكن يجب أن نقوم بحذفها وترك بعضها الآخر، نتركها ليس لتصفية حسابات وضغينة! بل للعبرة ؛ ثم نضع خطاً أخضر تحت السطر الذي يحمل مواقف أصحابها المضيئة ونبحث عن كلمة اعتذار منهم ربما تكون مختفية بين الأسطر وربما لم نسمعها ولكنها

كانت تشع في دفء نظراتهم ونبرة أصواتهم وإيجابية موقفهم معنا؛ يجب تصويب التقييم الخاطيء فوراً تجاه أشخاص خاننا سوء ظننا لفهمهم وتقييمهم بصورة عادلة؛ القول سهل ولكن أكان من السهل علينا تمزيق صفحة سوداء لذنب كبير اقترفه أحدهم في حقنا يوماً ومازال أثره السيئ يبدو جليّاً على حياتنا؟

يجب أن تقوم بذلك وستشعر بأنك بطل وشجاع وسيرتاح قلبك حينها؛ فارتكاب الأخطاء سهل ولكن القدرة على مسامحة مرتكبيها تحتاج إلى قلبٍ نبيلٍ ويَقِظْ؛ فهل أنت صاحب هذا القلب الشجاع؟

المبرقعة

اسم شاعرة وكاتبة مرموقة كانت تكتب في إحدى المجلات الخليجية ولا أتذكر تحديداً في أيٍّ منها، وكانت تكتب صفحتين شهرياً في هذه المجلة في فترة الثمانينات وبداية التسعينات، ولكنها انقطعت منذ فترة طويلة عن النشر لأسباب غير معروفة، ولعل بعضكم قد مرّ عليه ذات يوم إبداع هذه الكاتبة الراقية، وكم كان من الصعب على نفسي أن أشتري العدد ولا أجد كتاباتها مرة أخرى، فقد كنت متابعة جيدة لكتاباتها، كما

أنني قد تأثرت بها في بدايات نشري لنصوصي الأدبية، لوكنت أملك قصاصة لكتاباتها الجميلة لما ترددت لحظة لأضعها هنا بين أيديكم لتستمتعوا بها وبرقي كتاباتها التي لو تعود لأضافت لمسات لا تُنسى في كل قلب يحب المعني الجميل المختبئ بين طيات الحروف.

اتصال فانفصال

ثمّة أشخاص يعيشون معنا بقربنا، نحبهم ونعلم أنهم يحبوننا، ولكن لا يمكننا أن نصل إليهم دوماً، فهم يؤثرون البقاء جسداً بينما أرواحهم العذبة يرسلونها خارجاً؛ وكأنهم على جزر بعيدة رغم أننا نعيش في جزيرة واحدة! وكثيراً ما ينقطع حبل الاتصال فيما بيننا وبينهم فجأة وبعد لحظات من هذا الانقطاع؛ نجد أنفسنا عاجزين عن القدرة على إيصال حقيقة شعورنا إليهم فأدوات الاتصال مرهونة لديهم؛ لحاجز قد بنوه وآمنوا به ونحتوه في أذهانهم عنا، وعبر هذا الحاجز نشاهد فجوة لا يمكن لنا أن نسدَّها إلا بالتغاضي والتناسي والتسامح، فلو توقفنا طويلاً عند هذا السدّ وهذه الفجوة فستكبر مع الأيام، وسيكبر جرحنا معها. رغم أهميتهم في حياتنا، وحبنا العظيم

لهم إلا أنهم لا يريدون أن يفهموا طبيعتنا جيداً رغم مرور أعوام طويلة، ورغم تغيّرنا الإيجابي نحوهم! قد نكون أخطأنا يوماً في حقهم ولكنّهم لا يرغبون في الاتصال الودّي هذا بل كل ما يرغبون فيه هوالانفصال الروحي، لا نملك إلا الصمت والدعاء لهم بالهداية.

حرمان جميل

أن يحرم الإنسان نفسه من الأمور التي بإمكانه أن يستبيحها سراً هو حرمان جميل، ومؤدِّب للنفس، النفس البشرية الجامحة التي لابد من كبح جموحها نحوملذات الحياة الفانية هذه، وفي الصوم في هذا الشهر الفضيل فضل عظيم لكبح هذه النفس بما يعالجها ويفيدها، بل إن شهر رمضان ليس بصومه لحرمان النفس عن ملذات الطعام والشراب، بل كما نعلم جميعنا أنه شهر تصوم النفس فيه عن كل ما حرمه الله عن حواسنا الخمس، وكثير منّا يجدون هذا الشهر وقتاً رائعاً لترتيب أمور كثيرة في حياتهم وفصلاً يتجدد كل عام لتدريب النفس و«فلْتَرتها» من آثار حياتنا السابقة وإعدادها بصورة متماسكة ومُحَصَّنَة بصورة أكبر لمواجهة الحياة المقبلة. وخروجك من هذا الشهر الفضيل

بكنز من الحسنات أفضل بكثير من أن تخرج منه خالي اليدين، فاغنمه باركك الرحمن، فهو زائر كريم لا يأتي إلا مرة واحدة في كل عام.

كوب الفجر

هل سقط رذاذ ماءٍ باردٍ ذات يوم على رأسك وأنتَ ملتحف بفراشك فجراً؟ قد يبتسم أحدكم أعزائي القراء من هذا السؤال؛ وتجيب عنه ذاكرته بالإيجاب، ثم يتذكر هذه اللحظة جيداً، قد يكون مرّ بها في مرحلة عمرية ما، قريبة أو بعيدة، ولكن ما هذا الماء البارد فجراً؟ لقد اعتاد الآباء السابقون والأمهات على إيقاظ أبنائهم لصلاة الفجر بطرق عديدة من بينها كوب من الماء البارد الذي يُسكَب رذاذه على رأس من يتقاعس عن القيام من فراش النوم لأداء صلاة الفجر، فالبنات أيضاً لهن نصيب من كوب الفجر هذا، ولكن الأولاد لهم نصيب الأسد منه!

إذ لا يجب على الأولاد الصلاة في البيت؛ ولكن يجب أداؤها مع الوالد في المسجد مع الجماعة، وإذا صلاها في البيت فإنه لابد أن يواجه لوماً قاسياً كهذا: «الصلاة في البيت للنساء»، أتذكَّر كيف كان جدي رحمه الله يوقِظ أبناءه لأداء صلاة الفجر،

فقد كان الكوب غالباً ما يلعب دوراً مهماً في إيقاظهم، وأتذكر أيضاً كيف كانت جدتي رحمها الله توقظ بناتها بذكر الأحاديث عن فضل أداء الصلاة في وقتها وعن صلاة الفجر.

وحين يقمن لأداء صلاة الفجر كانت تحثهن على أداء صلاة ركعتي السنة قبيل أداء الفريضة مرددة هذا الحديث الشريف: «ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها» رحمها الله. ورغم أمية الأجداد وعدم التحاقهم بركب التعليم الحديث، إلا أنهم تعلموا أكثر العلوم قدسية ألا هي علوم القرآن الكريم، نهلوها عبر حلقات التعليم التراثية الجميلة عند حفظَة القرآن الكريم: »المطوع» و«المطوعة»، لقد امتلأت أفئدة الأجداد بأطهر الكلام، فخرجت على أيديهم أجيال قوية ومن بعدهم جئنا.

حرب وسلام

شاهدتُ منذ فترة قريبة فيلماً روائياً رائعاً «war and peace»، وهذه ليست دعاية له! وإنما لإبداء رأيي حول هذا الفيلم الرائع، والفيلم يؤدي أبطاله أحداث رواية معروفة للروائي الروسي العملاق ليو تولستوي، ويعتبر تولستوي من أهم أدباء روسيا في القرن التاسع عشر، وعُرِف عنه حبه للسلام وقيادته لحركة الإصلاح الاجتماعي، ورواية الفيلم «حرب وسلام» من أشهر رواياته على الإطلاق، وقرأت عن هذا الفيلم كيف أنه حصد جوائز عديدة، وكيف عمل منتج هذا الفيلم مع فريقه بصورة جبارة تحدت كل الصعوبات التي واجهتهم ونظرتُ إلى الأفلام التي نفتخر بها فلم أجد إلا فيلمي: «عمر المختار» و«الرسالة»! ولكن أهذا يعني أن مكتباتنا تخلو من الروايات العربية الجميلة التي تستحق أن يجسد أحداثها ممثلون عرب أكفاء؟ الإجابة أعزائي القرّاء تعرفونها جيداً ولا تخفى عليكم، والخوض في تفاصيلها قد يخرج إلى خطوط حمر قد تزعج صفوكثير منكم.

فمٌ كبير في عزاء؟

يفتقد كثير من الناس صفة التسامح للأسف، وهذه الصفة تعتبر من أهم صفات النبلاء والشخصيات المؤثرة عبر التاريخ، لأنها تتطلب حلْماً وشجاعة وتفهماً إنسانياً تجاه جهل الآخرين في حسن التصرف والقول اللائق في حينه. في مجلس عزاء لإحدى قريباتي، كنت أتحدث بحزن عن الأرملة المكلومة لرحيل زوجها، وأذكرها بالخير لعشرتها الطيبة وحبها لزوجها، فقاطعت حديثي امرأة هداها الله بقولها: «لقد آذت زوجها كثيراً بلسانها، لقد عانى من سلاطة لسانها طويلاً إلى أن توفّاه الله!»..

هنا ألجمني كلامها هذا وصمتٌ بألمٍ كبير وحزن لحال الأرملة المسكينة التي بلاها الله بفاجعتها وبسوء ما تقوله إحدى المعزيات همساً، وحزنت أيضاً لهذه المرأة القاسية التي لا يمكنها أن تمنع لسانها من قول الكلام السيئ عن الآخرين في وقت وجب تقدير وضعهم فيه! حينها نكّست رأسي وأبعدتُ عيني عن وجهها لأنه قد امتلأ كرهاً فجأة! وهذا الكره يحمل طاقات سلبية هائلة والعياذ بالله، ولم أود أن أنظر إلى وجه يحمل نظرة كره للآخرين، ومما لاشك فيه أن كلامها يحمل ظلماً كبيراً على تلك الأرملة التي عُرفَت بحبها وتحمّلها للحياة الزوجية بمرها وحلوها، فقد وقفت طويلاً مع زوجها رحمه الله أيام مرضه إلى أن توفّاه

الله، ولكنها أعطت بصمت ووفاء نادريْن، وفوّضت أمرها لله واحتسبت الأجر عنده سبحانه. أرجو من الله العلي القدير ألا يتعرّض أحدكم إلى مجالسة من هومثل تلك المرأة والتي ينطبق عليها وصف الأجانب بصاحبة الـ: «big mouth» في مجلس العزاء الذي كنت فيه، وقد حالفني سوء الحظ بمجاورتها.

كم رصيدك؟

إذا كنت غنياً بمالك فقط فلا تفرح كثيراً لأنك لو لم تملك رصيداً كافياً من محبة الناس فإنك مفلس أبداً، إلا إذا كنت من الذين جمعوا الغنى ومحبة الآخرين فإنك تستحق التقدير والثناء. أما إن كنتَ فقيراً أو متوسط الحال فلا تحزن، فقد يكون عوضك عن الغنى أمر آخر هو أهم منه كالصحة والأمان ومحبة الآخرين وثقتهم بك رغم توسط حالك ومعيشتك وعفافك، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:13] صدق الله العظيم.

إذن ليس من هو أكثركم جمالاً أو ثراءً هو أكثركم رصيداً وأفضل منكم! وإنما «أتقاكم» هوصاحب الرصيد الحقيقي في هذه الحياة الفانية.

عمق

كـم واحـدٍ لـه هرجـةٍ مـا هرجهـا

يكنّهـا لـو هـو للأدنـين محتـاج

محمد الأحمد السديري×

من يزيد؟

كنت في أحد مراكز التسوق في دبي، وشاهدت شالاً «كشميرياً» معروضاً في أحد المحلات، وحين سألت البائعة عن سعره أخبرتني أنه بستمئة درهم! فأخبرتها أنه يُباع في القرية العالمية بمئة ونيّف! فابتسمَتْ ولم تعرف بماذا ستجيبني، فابتسمت وقلت لها بيعوا كما تشاؤون! ثم قمت بعد ذلك بزيارة أحد المحلات الحصرية في هذا المركز التجاري الكبير، ولفت نظري جمال نبتة «البامبو» الموجودة على أحد الأرفف للبيع، فسألت البائعة الآسيوية عن سعر الغصن الواحد من «البامبو» فأخبرتني أنه بمئة درهم! فتذكرت سريعاً أغصان «البامبو» التي أضعها في غرفتي والتي اشتريتها من القرية العالمية بسعر زهيد جداً ما يقارب العشرين درهماً، فسألتها عن سبب الفرق بين السعرين، ولكن وجهها تغيّر لونه حرجاً.

وابتسمَتْ لي أيضاً ابتسامة بقيت إلى أن خرجت من المحل، ولعل سبب ابتسامتها واضح لكم أعزائي القراء! فمن بإمكانه أن يحصر التجاوزات هذه كلها! النبات هو تماماً كما وجدته في القرية العالمية وبنفس المواصفات ولكنه يختلف سعراً ما بين

عالمين مختلفين، فذاك في محل فقير التصميم وهذا في محل ذي واجهة زجاجية فخمة مرصّعة بأسماء تجارية عريقة، وأكاد أجد الأمر ذاته عند البشر.

فمثلاً الخياط الآسيوي الذي يقوم بحياكة وتطريز القماش في وطنه نجد أن سعر بضاعته زهيد؛ بينما لوجاء عندنا أصبحت بضاعته مضاعفاً سعرها مرات عديدة، إذن المكان بإمكانه أن يغيّر سعر المعروض وفقاً للأجواء ومميزاتها الممنوحة له! وقد يكون العكس تماماً، فقد تكون البضاعة غالية في موطنها وتُباع بسعر بخس خارجه.

شكراً برشلونة

لا أعلم لماذا تملّكني شعور جامح لأضع هذا الخبر دون حذف أي كلمة منه، ربما لأنه يحترم إنسانية وعادات سكان المدن الأصليين:

«بينما تشهد بعض الدول، مثل فرنسا، جدلاً حول حظر النقاب وبلغ أن صدق البرلمان البلجيكي على قانون بهذا الخصوص، تعاني برشلونة مشكلة مناقضة تماماً فإن السائحين يتجولون في شوارع المدينة أشباه عراة. وتسعى حالياً عاصمة إقليم كتالونيا شمال إسبانيا، لإقناع زائريها بارتداء بعض الملابس أثناء تجوالهم في شوارعها، فمشهد السياح الذين يكتفون بارتداء لباس البحر ذي القطعتين «البكيني» وملابس البحر ليست محببة لسكان ثاني أكبر مدن إسبانيا الذين يعتبرونها مؤذية. في البداية كانت حشود مشجعي كرة القدم الإنجليز والألمان الذين كانوا يسيرون في حي لاس رامبلاس بأجسادهم شبه العارية، أو يتسكعون في متنزه جويل العام الذي صممه المعماري الشهير أنتوني جاودي، ثم ساير الشباب والسائحون الموجة، وتعلق صحيفة «إلبريوديكودي كتالونيا» على الظاهرة بغضب حيث

جاء فيها «في الوقت نفسه أصبح الآباء «من المدينة» يذهبون للتسوق مرتدين السراويل الرياضية القصيرة. الأمر لا يتعلق بالمظهر الجمالي فحسب بل بالصحة العامة أيضاً فعندما يكون الجو حاراً لا يريد أحد أن يلمسه شخص نصف عارٍ في مترو الأنفاق أو في الحافلة». ويعتقد الإسبان أن البكيني السراويل القصيرة مكانها الشواطئ وليس طرقات المدينة. أما أن تذهب للتسوق أو لأحد المطاعم مرتدياً تلك الملابس فهو «ينم عن افتقار للذوق». أما بالنسبة لبرشلونة، فالأمر لا يقف عند هذا الحد، فصورة المدينة باتت على المحك. فالمدينة الإسبانية العريقة التي يقطنها 1،6 مليون نسمة لا تعتبر نفسها منتجعاً شاطئياً، بل مدينة عالمية ومركز تجمع وجذب هائلان. ومن هذا المنطلق فإنه من المنطقي أن يصاب أصحاب الفنادق ورجال الأعمال بالقلق والخوف على سمعة مدينتهم التي يعرضها بعض السائحين بملابسهم الخفيفة للخطر. ويسعى مسؤولو المدينة لنشر هذه الرسالة بين السائحين، كي يرتدوا ملابس «لائقة». ويشيرون إلى أن أولئك الزوار لا يتجولون في شوارع مدنهم بملابس البحر». انتهى الخبر لا أعلم لم حضَرَني مقال للأخت عائشة المري عبرت فيه عن ترحيبها لمنع النقاب في فرنسا وأرجومنها أن تتأمل هذا

الخبر وأن تكتب مقالاً آخر تشكر فيه سكان برشلونة العريقة أيضاً لاعتراضهم على عدم احترام السائحين عاداتهم في الحشمة في مظاهر حياتهم وحرصهم على سمعة مدينتهم المحافظة؛ ولأنهم أيضاً لم يقولوا شكراً لمن عارض أسلوبهم في الزيّ الذي اعتادوا عليه في مدينتهم منذ زمن أجدادهم، للأخت عائشة الحرية في التعبير، ولكني أبدي رأيي هنا وأشاطرها الحرية أيضاً!

هل أنت النهر الجاري؟

إذا كنت تمتلك موهبة ميزك الله بها عن غيرك، فإن بين يديك كرة مضيئة تشعّ بالعطاء، ولا يراها سوى موهوب مثلك، فلا تنتظر من الشخص الذي لا يعرف معنى الموهبة الربانية ولا يقدّرها أن يمنحك بعض اهتمامه؛ أو أن يفهم شعورك وما تريده، مثال على ذلك: أن المعلم الذي يحب الرسم ويدرّس مادة الجغرافيا هو إنسان بإمكانه فهمك؛ فهو يقدّر طريقة رسم الطلاب للخرائط وتلوينها، فلو رسم أحد طلابه خريطة ولوّنها بألوان مميزة فسيُبدي إعجابه وسؤاله إلى هذا الطالب الموهوب، وما يحضرني هنا أني حين كنت طالبة في مرحلة دراستي الابتدائية قد اعتدت على رسم خرائط الدرس في دفتر الصف بألوان متدرّجة تجعلها تبدو في هيئة البعد الثلاثي، وكنت حينذاك أحب

الرسم، وذكر الله بالخير معلمتي الفلسطينية «أبلة حنان» التي كانت تدرسني مادة الجغرافيا وفي الوقت ذاته تحب الرسم، إنها في بداية كل حصة من حصصها كانت تمرّ على كل طالبة لتشاهد أداء الواجب الذي أوصت به، وحين يأتي الدور عليّ لتشاهد صفحة الواجب من كراستي، كانت رعاها الله ترسم على وجهها السمح ابتسامة جميلة ما زلت أذكرها ثم ترفع كراستي على الصفحة التي رسمت فيها الخريطة قائلة: «انظرنَ إلى الألوان هذه خريطة هنادي اليوم» ثم تصفق لي، وهذا «تعزيز رائع» من معلمات الأمس والذي تحتاج طالباتنا إليه ليس في صفوف المدارس وحسب بل حتى في صفوف الجامعة إن اهتمام المسؤول عنك بموهبتك في الجو الدراسي أو العمل أمر مهم، وبإمكانه جعل هذه الموهبة تتدفق كالنهر الجاري الذي يسقي كل الأزهار التي بجانب مجراه والمسؤول الأول قد يكون أنت، فإن لم تهتم بموهبتك فستندثر حتماً، ولكن إن شعرت بها ونمّيت شعورك بها وتابعتها وصقلتها فإنك ستكون كذاك النهر الجاري.

شكراً

كانت صديقتي الشاعرة ضوء القمر أولى الشاعرات اللواتي

هنّأنني بمناسبة فوزي بالمركز الرابع في المسابقة الوطنية الشعرية التي أطلقها صاحب السموالشيخ محمد بن راشد آل مكتوم نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي يرعاه الله. وكم هي سعادتي حين قرأت اسمي من بين أسماء شعرية كبيرة فازت في المسابقة الشعرية كالشاعر القدير سالم الزمر وعتيق خلفان الكعبي، وأسعدني ورود اسم زميلتي الشاعرة مولاف ضمن الفائزات، ومن هنا أبارك لها فوزها في هذه المسابقة الوطنية الرائعة، كثيراً من الأحيان أتساءل هل من يقومون ببرمجة الحواسيب الآلية يقومون بمراجعة دقة بيانات اللغة؟ فخيارات اللغة في كل حاسب آلي تحتوي على خيارات مختلفة للغة العربية! فهناك اللغة العربية الخاصة بنا واللغة العربية الخاصة بالبحرين والعربية الخاصة بقطر وأخرى بعمان والسعودية ومصر؟ وهم لا يعلمون أن اللغة العربية الفصحى لغة الضاد هي لغة واحدة ولا يمكن أن تتفرّع إلى عدة لغات عربية أخرى؟ إنه أمر مضحك في كثير من الأحيان، فمن يقرأ هذه الخيارات لاشك أنه يسأل نفسه وهل هناك لغة عربية فصحى أخرى لا نعلم بها؟ قليل من الدقة نرجوها من مبرمجي الحواسيب الآلية!

عجالة

لقد ميّزنا الله عن سائر كائناته الحية بالعقل والتفكّر به، ولكن ما يعطّل حكمة العقل طبيعة النفس البشرية التي خلقها الله من حب الاستعجال في تناول أمور الحياة ومواقفها، فقد قال الله سبحانه وتعالى: «...وكان الإنسان عجولاً».صدق الله العظيم «سورة الإسراء – 11».

كثير من الخلافات الشخصية مع الأصدقاء ومن المشاكل الأسرية كالطلاق والقطيعة يكون سببها الاستعجال في إطلاق كلمة غير مدروسة جيداً، وعدم الرغبة في التأني لإطلاقها.

أخبرتني إحدى صديقاتي أن خادمتها لم تردّ على ندائها يوماً فعنّفتها، ثم شاهدت الأخبار العالمية من التلفاز في صباح اليوم التالي؛ واكتشفت أن هناك زلزالاً مدمّراً قد وقع في موطن الخادمة وقد خلّف على أثره آلاف الضحايا والمفقودين، وحين سألت خادمتها عن الخبر أخبرتها أن لديها أقارب يقطنون في المنطقة المنكوبة، فما كان منها إلا أن اعتذرت إليها لسوء فهمها لحالتها حين غضبت منها، ولعلّ هذا الموقف عابر ولا يرتبط بالعلاقات الاجتماعية المهمة، ولكني أتساءل: كم مرة سمحنا لأنفسنا

بتجاوز عتبة التأني قبل الانفلات في ما سنندم عليه من موقف أو كلمة قد تكون غير مقصودة منا؟

وصلتني رسالة في بريدي الإلكتروني تتضمن قصة يتجلّى فيها ندم كاتبها «ستيفن آر كوفي» إثر موقف استعجل فيه وساء فهمه وتصرفه للطرف الآخر، فقد كان يستقل قطاراً في مدينة نيويورك، وكان الجو هادئاً؛ حيث جلس الركاب في استرخاء بينما يقرأ الآخرون الجرائد، وقد كسر هذا الهدوء رجل بصحبة أطفاله المزعجين كثيري الحركة، سأترككم مع قصة «ستيفن» وهو يرويها بلسانه: «جلس والد الأطفال إلى جانبي وأغلق عينيه غافلاً عن الموقف كله، كان الأطفال يتبادلون الصياح ويتقاذفون بالأشياء بل ويجذبون الصحف من الركاب وكان الأمر مثيراً للإزعاج؛ ورغم ذلك استمر الرجل في جلسته إلى جواري دون أن يحرك ساكناً ..!!؟؟ لم أكن أصدق أن يكون على هذا القدر من التبلّد والسماح لأبنائه بالركض هكذا دون أن يفعل شيئاً ..!؟ يقول «كوفي» بعد أن نفد صبره التفَتَ إلى الرجل وخاطبه غاضباً: «إن أطفالك ياسيدي يسببون إزعاجاً للكثير من الناس وإني لأعجب إن لم تستطع أن تكبح جماحهم أكثر من ذلك ..!!؟ إنك عديم الإحساس!».

فتح الرجل عينيه ! كما لو كان يعي الموقف للمرة الأولى وقال بلطف: نعم إنك على حق! يبدو أنه يتعين علي أن أفعل شيئاً إزاء هذا الأمر؛ لقد قدمنا لتونا من المستشفى حيث لفظت والدتهم أنفاسها الأخيرة منذ ساعة واحدة..إنني عاجز عن التفكير! وأظن أنهم لا يدرون كيف يواجهون الموقف أيضاً! يقول «كوفي» .. تخيلوا شعوري آنذاك ؟ فجأة امتلأ قلبي بآلام الرجل وتدفقت مشاعر التعاطف والرحمة دون قيود، قلت له متأثراً: هل ماتت زوجتك للتوّ؟ إنني آسف! هل يمكنني المساعدة؟ لقد تغير كل شيء في لحظة !! انتهت القصة أتمنى أنكم لم تمروا بمواقف سيئة نتيجة الاستعجال في الانفعال، لابد أن نمرّن أنفسنا طويلاً ونثق بقوتنا في إدارة «مكابح السرعة» هذه، وننقذ ما يمكن إنقاذه، فمن منا خالٍ من هذه الطبيعة البشرية إلا من رحم ربي.

«مشهد شدَّني»

كنت أنتظر أختي في السيارة قرب سور جامعتها؛ وبينما كنت أنظر إلى الطالبات اللواتي يخرجن من البوابة؛ شدّ انتباهي منظر للمرة الأولى في حياتي أشاهده! لقد شاهدتُ

أحد الأساتذة الأجانب يخرج من البوابة وقد أمسَكَ بيده كتاباً بملء الكف يقرؤه وهو يمضي مسرعاً في طريقه الملاصق لسور الجامعة إلى سيارته! لقد شدّني حبه للقراءة بهذه الصورة، إنه لا يريد أن يفوّت هذه الثواني وهو يمضي إلى سيارته دون أن يغنمها بما يحب من القراءة! لقد صفّقت له في الأعماق كثيراً، وتمنّيت لو أني أشاهد مثله من «الدكاترة» والأساتذة الآخرين! لا أعلي من شأن هذا الأستاذ على غيره، ولكن ما زاد إعجابي بشخصية هذا الإنسان أن أختي أشارت إليه قائلة إنه هذا الأستاذ نفسه الذي أخبرها وزميلاتها في الفصل عن سيارة تلوّث البيئة وهي ذات دفع رباعي، وقد أخبرتني أختي ذات يوم أن أستاذها هذا قد أخبرهم في الفصل عن تعجّبه من تفاخر كثير من الشباب باقتناء مثل هذه السيارة الضخمة، فهوفي مجتمعه ينظر أفراده إلى أصحاب مثل هذه السيارة بنظرة محاسبة وعدم الرضا؛ لأنها في الواقع تدمّر وتلوّث أجواء البيئة بانبعاثاتها الكربونية الضارة بالغلاف الجوي. صحيح أن هناك طالبات لا تعجبهن ثقافة بعض الأساتذة الأجانب ولكن هنالك جوانب مضيئة لشخصيات أخرى، وهذا الأستاذ واحد من هذه النماذج الطيبة.

ألَديكَ أخت؟

هذا سؤال أوجهه للرجل فقط، ألديكَ أخت؟ إن كان جوابك لا فأعتذر لك، لأنك حُرِمتَ هذه النعمة وأسأل الله أن يعوّضك في زوجتك أو ابنتك، وإن أجبتَ بنعم، فأقول لك هنيئاً لك! فالأخت حبّها ممتد كمحبة الأم وحرصها وحنانها وعنايتها بأخيها، ولا يمكن للزوجة أن تحلّ محل الأخت في حبها وتعاملها، ولكنه قد يكون دورها شبيهاً بها إن فهمته جيداً، نعم!

أختك هي صديقتك ورفيقة طفولتك وأيامك القديمة حلوها ومرّها، هي تذكرك في كل لحظة تشد ظهرها بك فأنت محرمها وعون لها وظلها الظليل إن أحرقها لهيب الشمس! لا تدعها تحتاج إلى سواك فتتلقّفها الأيدي الطامعة العابثة، فلا تخذلها ولا تتركها تحمل الأثقال وتجلس لتتفرّج عليها حتى تقع من التعب.

أتذكر قصة الرجل الذي غرقت سفينته التي كانت تحمله هو وأخته وزوجته، حيث نادته زوجته مستغيثة: أنقذني! فقال: لا أستطيع إلا أن أنقذ واحدة منكما»، وحين أنقذ أخته سألته:

لماذا تركتني؟ فأجابها: «أستطيع أن أجد زوجة أخرى، ولكني لن أجد أختاً لي مرة أخرى».

الأخت لا تعوضها امرأة في العالم، لقد خلقها الله معك من جوف واحد.

ظلال تظلهن

أعجبني مقال الكاتبة الإماراتية القديرة عائشة سلطان الذي نشرته في جريدة الاتحاد في أحد أعدادها السابقة من عام 2010م، وكان يتناول قضية السكن الخاص للمواطنات كبيرات السن غير المتزوجات وأيضاً المطلقات اللواتي لم ينجبن، فلو حسبنا هذه الفئة من المجتمع فسنرى أن الأعداد تفوق التوقعات، فالفتاة المواطنة ماذا ستفعل إن بلغت سن الخامسة والخمسين اوأكثر بقليل وهي ليست ذات أبناء وليس لديها سكن خاص بها؟

وفي ظل ظاهرة العنوسة وتوجه شبابنا إلى الاقتران بغير ابنة وطنهم، فإن هذه الظاهرة لابد أنها تستحق الدراسة واتخاذ قرار حاسم بشأنها، فقد لا يكون لتلك المرأة كبيرة السن المواطنة غير المتزوجة والمطلقة إخوان لتعيش معهم في سكن واحد! وبالنسبة لزواج شبابنا المواطنين بغير المواطنات فإنه ظاهرة باختصار تعود بصورة عامة إلى التكاليف الباهظة لعرس المواطنة ومهرها الكبير، ولكني منذ فترة ليست ببعيدة قرأت في إحدى الجرائد المحلية عن مواطن يزوّج بناته الأربع مقابل مبلغ خمسة آلاف درهم فقط، وللعلم إنهن جامعيات أيضاً! إذن لسن كلهن مكلّفات في

تكاليف العرس.

وعلى النقيض قرأت خبراً آخر في إحدى الجرائد المحلية مفاده أن مواطناً يبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً قد تراجع عن الزواج من مواطنة في اللحظات الأخيرة من إتمام الزفاف، وكانت العروس قد ذهبت إلى محل التجميل للتجهيز للزفاف ولكن اتصاله بها في اللحظات الأخيرة دمّرها تماماً، فما ذنب هذه الفتاة المسكينة؟

والسبب أعزائي القرّاء عن تراجع «المعرس» عن إتمام الزفاف هو أنه اعتاد الخروج مع صديقاته، وأنه لا يمكنه الإقلاع عن علاقاته بهن وأن يغيّر عادته هذه؟ إنها طامة كبرى؟

يعتقد أن هذا الأمر يشرّفه ولكنه العكس تماماً، وأعتقد أن هناك فئة قليلة من شبابنا ينتهجون نهجه، وإذا ما بلغ أحدهم سن الأربعين أو قبلها بقليل أبدى لأهله الرغبة في الزواج!...لا أعلم لماذا هذا التصرف غير المسؤول؟ فماذا ترك لزوجته من صحة ولياقة نفسية ليبدأ حياته الأسرية معها؟

لقد اعتدنا مشاهدة «بعض» الشبان وهم «يتمشون بفخر واستعراض» في المراكز التجارية برفقة الأجنبيات غير المحتشمات من شتى الجنسيات العالمية المختلفة ومن كل الألوان!

«إذا بليتم فاستتروا» ما المانع من فعل ذلك بعيداً عن الناس؟ لقد نسي بعض الشبان قول محمد عليه الصلاة والسلام: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول: يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عنه». رواه البخاري ومسلم. الموضوع متصل ببعضه البعض فضرورة توافر السكن للفتاة مقرون بضرورة وجود الرجل المحرم سواء كان أخاً أو زوجاً أو عماً، ولكنه لا يحتمل أن أتناوله من جانب واحد فهومتشعّب ويعزّ سرده هنا.

هجر جميل

كان هنالك جندي مجهول يقطن في وادٍ نضبت منه المياه منذ زمن بعيد؛ وهو إنسان عُرِف بنزاهته وأحب الجميع بصدق وأراد أن يقدم المساعدة لأهل ذلك الوادي دون مقابل؛ استطاع بهمّته أن يكتشف أماكن الآبار بحفرها واستطاع أن يجمع مجاري المياه في مجرىً واحد؛ بجهده ومساعدة اثنين من أهل الوادي، وظلّ أهل الوادي يشربون من تلك الآبار دون أن يعلموا أن الجندي المجهول هو صاحب الاكتشاف هذا، وآثر الجندي أن يبقى

عطاؤه في الخفاء دون أن يعلم بشخصيته أحد، أحبّ الجلوس في الظل بعيداً عن الأعين والألسن، بعيداً عن رضا الناس الذي لا يُدرَك، واكتفى بمشاهدة أهل الوادي وهم يشربون بسعادة من ذلك النبع الصافي، ولكن رغم بعده عنهم فإن أذى البعض أصبح يلاحقه ويُرجِع نتائج تصرفات الآخرين السلبية تعود عليه، فقد سمع ذات يوم حديث أحد سكان الوادي وقد انتقص من قدرته على مساعدة الآخرين وقلة نفعه، كما أن اكتشاف آبار الماء قد نسبوه إلى إنسان آخر، اعتقد الجندي أنه صديق له، آثر الجندي المجهول الصمت؛ فردّه عليهم لا يساوي حبه للخير. مازال يخدم في الخفاء ويبذل عطاءه دون أن يشكو أحداً، ولكنه أخيراً من بعد أعوام طويلة أخذت من وقته وصحته الكثير قرّر السفر بعيداً عن المكان الذي قضى عمره فيه مضحياً بكل ما يملك.

لقد هجر من آذوه وآثر البقاء بعيداً، لقد كان سفره إلى من قدّروه حق قدره، أولئك الذين كانوا يدعمونه معنوياً؛ فكانوا يشعرون به ويشاركونه حزنه وفرحه ولكنه نسيهم قليلاً كي لا يقصّر في عطائه وخدمته للآخرين، إنه الآن يعمل معهم..

مع مَن كانوا معه في الظل أيضاً، ولكنه لم يعد حزيناً أو مجهولاً، لقد تأخر في بلوغ هذه الخطوة المهمة، ولكنه وصل

أخيراً إلى حيث أراد، ولا وقت لديه للندم على تأخر وصوله هذا. لقد منحه أصدقاؤه فرصة عظيمة وغنمها سريعاً، فقد طبعوا له كتاباً يحوي قصة كفاحه وتضحياته العظيمة وإنجازاته التي دونها الآخرون بأسمائهم، وقام بتوزيع كتابه في مدارس المدينة التي يسكنها حالياً، كي يخرّج أجيالاً أخرى تضحي دون مقابل، وبذلك يكون قد كوّن شعباً من المتطوعين، التطوّع ذلك العلم الذي يُدرَّس اليوم في أرقى مدارس وجامعات العالم.

!Ask Ali

«آسك آلي» مشروع مرشد سياحي متخصص ومواطن ناجح اسمه علي السلوم، وهو مشروع سياحي يقوم فيه «علي» باستضافة السيّاح الأجانب القادمين أو المقيمين في موضع بريّ جهّزه من جميع الإمكانات من حيث الخيام المكيفة والمرافق المهمة الأخرى وركن بيع للطعام .

ثم يأخذهم في جولة يعرّفهم فيها على المرافق السياحية الجميلة في أبوظبي – وبالطبع كونه ابن هذا الوطن فإن ما سيقوم به للتعريف بالمكان سيكون ملائماً جداً؛ حيث ستصل المعلومة إلى ذهن السائح دون ضبابية وتشويه، ولا أقصد أن جميع المرشدين السياحيين الآخرين غير المواطنين لا يمكنهم ذلك ولكنه أعلم من غيره بتاريخ وطنه ومبانيه وأماكنه الأخرى التي قد يجهلها الآخرون.

كان بإمكان علي السلوم أن يستثمر ماله في أمر ربحي آخر بعيد عن كل هذا العناء ما بين برّ وبحر مع السياح، ولكنه ابن وفيّ لوطنه، فهدفه من المؤكد معنوي من المشروع وليس ربحياً في الأساس، هو أحبّ أن يكون صوتاً لهذا الوطن ليسمعه

الأجنبي السائح فيصله الصوت سريعاً لأنه خرج بصدق فوصل بعمق أيضاً ولم يحب أن يترك هذه المهنة لمن يجهل الهوية الوطنية بصورة صحيحة عن هذا الوطن فتصل الصورة مشوّهة؛ ولكنه أمسك بزمام الإرشاد السياحي بمشروعه الناجح واستطاع أن يستقطب عدداً هائلاً من السياح الأجانب الذين أصبح كثير منهم يعرفون كيف يرتدون «الغترة والعقال» ويصبون القهوة ويحملون «الطير على اليمين» ويروضون الجمال ويعرفون الأماكن الشهيرة والقلاع الأخرى السياحية في الدولة،«آسك آلي» اسم مشروعه، وفقه الله وتحية فخر أوجهها إليه من هنا.

الفلتر الثلاثي

قرأت ذات يوم مقالاً استوقفني طويلاً لروعة حكمته، وأود أن أنقله لكم هنا للإفادة، وهو يوجه إلى عدم التدخل في شؤون الآخرين بالسؤال غير النافع عنهم؛ وعدم الإيقاع بالعداوة بين الناس، وعدم السعي إلى تشويه صورة الأشخاص في أذهان معارفهم وأصدقائهم، إليكم المقال:

«في اليونان القديمة «469-399 ق.م» اشتهر سقراط بحكمته البالغة، وفي أحد الأيام صادف الفيلسوف العظيم أحد معارفه الذي جرى له وقال له بتلهف: «سقراط،أتعلم ما سمعت عن أحد طلابك؟».. «انتظر لحظة» رد عليه سقراط: «قبل أن تخبرني أود منك أن تجتاز امتحان صغير يدعى امتحان الفلتر الثلاثي». «فسأله الرجل: «الفلتر الثلاثي؟» فأجابه: «هذا صحيح» وتابع سقراط: «قبل أن تخبرني عن طالبي لنأخذ لحظة لنفلتر ما كنت ستقوله؛ الفلتر الأول هو الصدق، هل أنت متأكد أن ما ستخبرني به صحيح؟»؛ فأجابه الرجل: «لا، في الواقع لقد سمعت الخبر و...». فقال سقراط: «حسناً! إذاً أنت لست أكيداً أن ما ستخبرني به صحيح أو خطأ! لنجرب الفلتر الثاني، فلتر الطيبة..

هل ما ستخبرني به عن طالبي شيء طيب؟» فأجاب الرجل: «لا، على العكس،» حسناً.. تابع سقراط: «إذاً ستخبرني شيئاً سيئاً عن طالبي على الرغم من أنك غير متأكد من أنه صحيح؟»، ثم بدأ الرجل بالشعور بالإحراج؛ تابع سقراط: «ما زال بإمكانك أن تنجح في الإمتحان، فهناك فلتر ثالث فلتر الفائدة !هل ما ستخبرني به عن طالبي سيفيدني؟»، فقال الرجل: «في الواقع لا» فقال له سقراط الفيلسوف الحكيم: «إذاً...إذا كنت ستخبرني بشيء ليس بصحيح ولا بطيب ولا ذي فائدة أو قيمة، لماذا تخبرني به من الأصل؟». انتهى المقال ولي وجهة نظر حوله، فكل منا لديه هذا الفلتر الثلاثي: الصدق، الطيبة، الفائدة، ولكن هل بإمكاننا أن نمرّ بها مع كل كلمة؟ نعم يجب أن نقوم بذلك كي لا نشعل الفتن ونكون في موقف ذاك الرجل المتسرع، ولا نعلم كم إنسان خسر علاقة اجتماعية بسبب موقف ذلك الرجل الذي أراد الافتراء عى طالب سقراط الغافل، فهناك من لا يمرّ بهذه الفلاتر الإنسانية الثلاثة، ولا ينفع الندم حين يقع ما لا تحمد عقباه من أثر ما نطق به من الكذب وعدم التأكد من مدى صحة معلومته، ربما يكون قد سبّب خسائر فادحة على من وشى عليه من خسارة عمل أو علاقة صلة رحم أو عمل يرتزق به الموشى عليه، وقبل أن نتفوّه بأي

كلمة ننوي النطق بها يجب أن نقلّبها في كل هذه الفلاتر الثلاثة بتمحيص وتأنٍّ لن نندم من بعدهما، وهذا حديث شريف جميل في معانيه، من يقوم به فإنه يخلّص نفسه من لوم النفس ويحافظ على «برستيجه» بين الناس الذين يخالطهم؛ ولا يلحقه إلا الخير ويكفّ عن نفسه المواقف والآثار السلبية من هفوات اللسان: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكما قالوا في المأثور: «لسانك حصانك فإن صنته صانك وإن خنته خانك»، وقلّة نجدهم فرساناً يمرون بهذه الفلاتر فيروّضون جموح ألسنتهم؛ ويسلمون من كل شر؛ ويجذبون بذلك إعجاب كل من هم حولهم.

كيف تنتعش؟

مقال رائع جداً تعلمت منه كيف أن أنعش حياتي من جديد من بعد تراكم كثير من الأمور الحياتية المزعجة، حين كنت أقرأ أو أسمع عبارة «طنّش تعش تنتعش» لم أستوعبها كما استوعبتها الآن من بعد قراءتي لهذه المقالة الرائعة للدكتور عائض القرني جزاه الله خير إنها مقالة تجعلك تتنفس الصعداء، إليكم جزءاً منها: قال أحد الصالحين طنش، تعش، تنتعش، ومعنى ذلك ألا تبالي

بالحوادث والمنغصات ولقد سبق إلى ذلك أحدهم حيث يقول: «فعشت ولاأبالي بالرزايا لأني ما انتفعت بأن أبالي». وأنت إن ذهبت تدقق خلف كل جملة وتبحث عن كل مقولة قيلت فيك، وتحاسب كل من أساء إليك، وترد على كل من هجاك، وتنتقم من كل من عاداك، فأحسن الله عزاءك في صحتك وراحتك ونومك ودينك واستقرار نفسك وهدوء بالك، وسوف تعيش ممزقاً قَلِقاً مُكَدَّراً كاسف البال، مُنَغَّص العيش، كئيب المنظر سيئاً الحال، عليك باستخدام منهج التطنيش إذا تذكرت مآسي الماضي فطنش، إذا طرَقَتْ سمعك كلمة نابية فطنش، وإذا أساء إليك مسيء فاعف وطنش، وإذا فاتك حظ من حظوظ الدنيا فطنش، لأن الحياة قصيرة لاتحتمل التنقير والتدقيق»، إلى أن قال: «لقد علمتنا الشريعة الإسلامية أن نواجه أهل الشر والمكروه والعدوان بالعفو، بالتسامح والصبر الجميل الذي لا شكوى فيه، والهجر الجميل الذي لا أذي فيه، والصفح الجميل الذي لا عتب فيه، وقال: إذا رفع سفيه صوته بشتمك فقل له: سلام عليكم ما عندنا وقت، إذا نقل لك غبي تافه كلاماً قبيحاً من عدوّ فقل له: سلامُ عليكم ما سمعنا شيئاً».

أمنا

الأم.. هذه الأرض التي نقدّس حبها؛ وخلَقَنا الله في أحشائها الطاهرة فحملتنا تسعة أشهر؛ ورعتنا بحبها، وعيد الأم كما يعلم الجميع بأنه من صنع المجتمعات التي لم توصِ أديان أفرادها ببرّها بالصورة التي لدينا، نسأل الله أن يحفظها، ومن فقدها نسأل الله أن يلهمه الصبر وأن يرحم والدته، فليس هنالك ما هوأكثر ألماً من أن يستيقظ الإنسان ولم يسمع صوت أمه، أو يشعر بأنه لا يمكنه أن يرتمي في حضنها الحنون مرة أخرى.

نسيم الصباح

كان لديّ طائر مغرّد جميل من فصيلةْ «التمبرادو» الإسبانية، أسميته «نسيم الصباح»، وقد مات منذ فترة بعيدة، ولكني مازلتُ أذكر موقفاً إنسانياً له لن أنساه، قد يتبادر إلى أذهانكم كيف لطائر التمبرادو هذا أن يكون له موقف إنساني وهو طائر صغير لا يقوى على حمل غصن صغير؟ ففي يوم من الأيام أتت خادمة المنزل إليّ بفرخ طائرٍ صغير يشبه إلى حد بعيد طائري «نسيم الصباح»، وقد كان مجروحاً بجرحٍ صغير في إحدى قدميه، احترت ماذا أفعل به!

وقبل أن أضعه في قفص «نسيم الصباح» لاحظتُ درجات القلق تبدو على طائري من خلال تحليقه السريع في قفصه ولكنه سرعان ما هدأ، تردّدتُ كثيراً قبل أن أضعه مع «نسيم الصباح»؛ ولكن القفص كان كبيراً جداً ما جعلني أضعه عنده في أسفل القفص في عشّ صغير صنعته بنفسي.

بعد نصف ساعة أو أقل رأيتُ «نسيم الصباح» يكرّر تحليقه السريع المضطرب في أعلى القفص، وكان يطيل النظر في الفرخ الزائر باهتمام، ثم شاهدته وهو يأكل طعامه بطريقة غريبة تختلف عن كل مرة، والأمر الذي دعاني للدهشة أنه نزل بسرعة إلى الفرخ الزائر فخفتُ أن يؤذيه؛ ولكن الأمر الغريب أن «نسيم الصباح» قد قام بإطعامه في فمه وفي هذه اللحظة لا أعلم لِمَ أدمَعَتْ عيناي! ربما لأنني وجدت حكمة الله سبحانه تتجلى بقدرته الإعجازية في هذا المشهد، فكيف لطائر التمبرادو أن يُطعِم فرْخ فصيلة أخرى تختلف عنه تماماً؟ سبحان الله الخالق البديع! حتى الكائنات الصغيرة الضعيفة بإمكانها أن تفهم ضعف الكائنات الأخرى وتقوم بمساعدتها وإطعامها؟ إنه موقف إنساني يتصف بالنبل ولا يمكنني ألا أصفه بأنه غير إنساني لعدم اتصاف هذا الكائن الحي بصفة الإنسان؛ ولكنه حمل صفته بكل نبل وجدارة!

كثيرٌ من البشر نشاهدهم وهم يتألمون أمامنا وقد نعجز عن القيام بمساعدتهم؛ فندعو لهم بالعون من الله سبحانه، وآخرين نرجو من الله أن يتقبّل منّا ما قدمّناه لهم من عون، ولكن.. من استطاع أن يساعد الآخرين ومنَعَ خيره أن يصل إليهم؛ أتمنى أن يصبح يوماً مثل «نسيم الصباح» «راعي الفزعة»، والله سبحانه يضرب الأمثال والعبَر في أصغر خلْقه، «إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ» صدق الله العظيم« آل عمران: 190».

كم عمرك؟

أخبرتني إحدى النساء أن المرأة عادةً لا تحب أن يسألها أي بشر عن عمرها ووزنها، وخاصة لوكانت متزوجة أو عانساً، ولكني أتساءل ما الفرق؟ أحقاً ستتغير نظرة الرجل والمجتمع إليها لوكشفت عن عمرها الحقيقي؟ أشعر بأن هناك خوفاً وراء هذا الخوف من الإجابة عن هذين السؤالين، فالمتزوجة تريد أن تبقى شابة ورشيقة في عين زوجها وتخشى أن تفقده لو علم بوزنها الذي قد تغيّر وعمرها الذي كبُر. أما العانس فهي تخشى أن يعلم الناس عن عمرها الحقيقي فيحجم عن الإقدام من يودّ

الاقتران بها من بعد أن يعلم عن عمرها. ألم يحن الوقت لتعرف النساء أن هذا الخوف مجرّد وهم، وأن الله إذا أراد أمراً أن يكون فيقول له: «كن فيكون» سبحانه، لمَ الخوف؟

أهناك امرأة بقيت على عمر العشرين مدى الحياة؟ أهناك غصن شجرة قد بقيَ نضراً من بعد مرور أعوام طويلة على نموِّه؟ بالإمكان أن تختبئ الحقيقة لبرهة؛ ولكن العين تلمسها سريعاً قبل أن ينطق اللسان بما يخفيها.

لينا

كانت لديّ طالبة اسمها لينا لا أنساها، وقد استعانت بي إدارة المدرسة لمعالجة هذه الطالبة، فقد كانت مصابة بانفصام في الشخصية، وللمرة الأولى في حياتي أدرّس طالبة مريضة بهذا المرض النفسي المعقّد كما أنني للمرة الأولى في حياتي أيضاً أتعامل بصورة مباشرة مع إنسانة مصابة بهذا المرض النفسي الذي تترتب عليه عواقب سلبية على المريض ومن حوله، وفي بداية تدريسي لها لم يخبرني أحد أنها تعاني من شيء، وعاملتها بصورة إنسانية متساوية مع الطالبات السويّات الأخريات، ولكن فيما

بعد لاحظتُ على تصرفاتها بعض الأمور الغريبة فاعتقدتُ أنها تصرفات فتاة تمر بفترة المراهقة وأنه أمر طبيعي.

ولكن حين اشتَكَتْ إليّ إحدى زميلاتها بأنها تعرّضَتْ لها بالضرب وأخرى بالتهديد، ذهبتُ إليها بكل هدوء وتحاوَرْتُ معها في زاوية بعيدة عن الطالبات فنَظَرتْ إليّ بنظرة سعادة غامرة وقالت: «أتدرين يا معلمتي هذه أول مرة لا أشعر بالخوف من الإدارة» فسألتها عن السبب فأجابت: «في كل مرة تذهب المعلمة التي تشتكي إليها الطالبات مني إلى الإدارة وتطلب استدعائي إلى الإدارة ولكن هذه المرة لم أذهب إلى الإدارة واكتفيتِ بعتابي ونصحي شكراً كثيراً» ثم وعدتني خيراً، في الحقيقة شعرت بالأسى والعطف عليها في آنٍ واحد، وأجبتها بأن ما قمت تجاهها بإمكان الجميع أن يقوم به ولكن وفق قدرة تحمّلهم للمواقف السلبية المؤثرة فيهم.

وبعد أيام قليلة لم تحضر الطالبة وحقيقة قلقتُ عليها كثيراً؛ وفي يوم ما استدعتني الأخصائية الاجتماعية، وحين ذهبت إليها وجدتُ والدة لينا وهي تبكي، وسألتها عن سبب بكائها وقالت: «إن لينا مصابة بالتعب قليلاً وأنها ذهبت إلى العيادة النفسية لتأخذ علاجها» وحينها عرفتُ أنها مريضة، وقالت لي: «أنتِ

مس هنادي؟» فأجبتها: «نعم» فقالت لي: «إنها تحبك كثيراً وقد أوصاني طبيبها أن تهتمي بها»، وقد وعدتها بالخير، وحين رجعتُ إلى غرفة المعلمات جلستُ أفكر في كل تصرفاتها الغريبة التي كانت تقوم بها معي ومع صديقاتها في الفصل، وعرفتُ أن جرعات الحب أقوى شفاءً من الوصفات الطبية التي يصفها الطبيب لمرضاه؛ وأن القسوة بإمكانها جعل الإنسان السليم مريضاً وتدمِّر جهازه المناعي، كما أنها قد تجعل الإنسان متوحّشاً وعدوانياً.

وعلمْتُ لاحقاً من الطالبات أن لينا حين ضربتْ إحدى زميلاتها فقد سمعَتْها تستهزئ بها لأنها قد وضعَتْ رسالة خاصة لي على مكتبي، وحين عجزَت أن تعبّر شفوياً عن حقها في ذلك وجَدَتْ زميلتها تضحك عليها وتقول لها: «إنها لا تحبك ولا تنظر لواحدة مجنونة مثلك»، مما دفعها إلى ضربها؛ ولمرضها النفسي السبب المباشر لهذا التصرف المرتبك، كما أنها كانت حين تشعر بالخوف تقوم بتهديد من قام بتخويفها بالحديث المباشر أو بوضع ورقة تهديد صغيرة في درج طاولة التي فعلت ذلك؛ وهذا تصرف يدل على الدفاع عن النفس لحاملي هذا المرض النفسي، وبعد أعوام عديدة ما زلتُ أتذكرها وأتساءل: ماذا تفعل لينا

الآن؟ وهل مازالت مريضة نفسياً أم تجاوزت المرض؟ أسأل الله لها الشفاء ولكل مريض.

كثيرون مثل لينا ولكن من سيمسك بأيديهم برفق وينظر إليهم باهتمام وينصت إلى أصواتهم التي اختنقت بالصمت طويلاً؟.

نابعة من القلب

ترِدْنا رسائل جميلة في صندوق الرسائل في هاتفنا المتحرك، ولكن أجمل الردود التي تصلنا هي التي تكون قد كتبها أصحابها بأنفسهم وتحمل روحهم الطيبة وميزة حديثهم التي نحبها، ولكنهم قلة هم الذين يردون على الرسائل بتعبيرهم العفوي هذا، وقد نكون من الذين لا يجيدون التعبير في الرد على رسائل الآخرين، فنستعين بقوالب الردود الجاهزة التي تواكب عصر السرعة، وهذا ليس بعيب، ولكن من الجميل أن نرسل يوماً ما رسالة تخطها مشاعرنا بصدق ولا نضطر حينها إلى البحث في صندوق الوارد عن رسالة نعيد إرسالها حاملةً مشاعر غيرنا وقد لا يصل مضمونها إلى حيث نريد حيث القلب والفكر، فما خرج بصدق يصل بأسرع من غمضة العين فيغمر المشاعر سريعاً بهذا الصدق.

كذبة العمر

يتهافت الكثيرون في أول شهر إبريل إلى نشر الشائعات والأكاذيب، ومن هنا أنصح الجميع بالتيقظ لتفادي الوقوع في

فخ هذه العادة الغريبة. وكما ذكر المؤرخين فإن كذبة إبريل لم تنتشر إلا في القرن التاسع عشر، ويُعتَقَد أن لها جذوراً فرنسية منذ عهد شارل التاسع عشر عام 1564م، وانتشرت فيما بعد في أوروبا، ولكن هناك من يقول إنها عادة هندية للاحتفال بعيد الهندوس المسمّى «هولي» في الواحد والثلاثين من شهر مارس في كل عام، حيث يقوم أحد الأشخاص العاديين بنشر دعاية أو إشاعة ولا يفصح عن الحقيقة إلا في مساء الأول من إبريل، ويجب علينا كمسلمين ألا نشجع هذه الظاهرة السيئة لأن ديننا الحنيف قد نهى عن الكذب، ونعلم جيداً أنه مهما طال مسيره فإن حبله قصير ويوشك على الانقطاع السريع المفاجئ! إن هذه الكذبة قد يكون لها أثر خطير على صحة الآخرين، فقد يموت أحدهم بسكتة قلبية في حال كذب أحد ما عليه بخبر عن وفاة أحد الأشخاص المقربين له أو إصابة أحدهم بحادث وما شاء الله قدّر، والله خير الحافظين. كما أن الكذب يدمّر ويشتت شمل أسر في مجتمعات كانت متماسكة متحابة متراصة، فربّ أرملة قد أتعبتها الحياة بلا معيل؛ بسبب كذبة أحدهم بمكالمة في شهر إبريل لزوجها أثناء قيادته سيارته بنبأ تعرض ابنه لحادث سير فمات نفسه في حادث من الانفعال، وهذا مثال لاحصر...هذه كذبة

قد يُقصَر تداولها في شهر إبريل!

ولكن ماذا يحسب نفسه الذي يقضي عمره في أكاذيب يومية لا نهاية لها؟ ما ذنب من صدَقوا في حبهم له؟ ماذا سيفعل بدون حبهم له؟ فقد يكتشف أنهم رحلوا ولا أحد حوله يسأل عنه! ما أجمل الصدق وما أروعه وعظَمَة آثاره الخالدة، قلّ من يتقن هذا الفن الإنساني الشجاع.

نداء خفيّ

تنادينا الأطلال قبل أن يهدمها تيار التغيير، فنقبل عليها مسرعين لهفةً ووفاءً فتعْلُق بنا أبداً أطياف من سكنوا في تلك الأماكن المهجورة، ويعود لقاؤهم إلى الحياة كلما نبضَتْ قلوبنا بذكراهم. في هذا العام فقدت أماكن حبيبة إلى قلبي اختفت ملامحها عن الأنظار، مدرستي «عائشة أم المؤمنين» التي درست فيها جميع مراحلي الدراسية، وبيتنا القديم الذي عشت فيه بعض طفولتي ومراهقتي وبداية حياتي الاجتماعية، وجامعتي الحبيبة في مدينة العين، ومبانيها القديمة التي قد اختفت وخاصة المبنى الذي تلقيت فيه كل محاضراتي، من الطبيعي أن تتغيّر الحياة فلا يبقى لكل ما قَدُمَ أثر، ولكن تحتّم علينا مشاعرنا أن نحزن لرحيلها

ونشتاق إلى أيامنا فيها.

زوجة إلكترونية؟

لعل هذا العنوان فيه ضرب من الخيال، فهل هنالك زوجة إلكترونية؟ نعم موجودة، والمكان لا يخفى على الجميع إنها اليابان، فقد وصلتني رسالة عبر بريدي الإلكتروني تحمل خبراً يحمل هذا العنوان الغريب نفسه، فقد قام أحد اليابانيين الأذكياء باختراع مجسم لامرأة كاملة تحمل المشاعر التي يحبها؛ حيث برمَج فيها ما يحب من الأفكار وتوجهاته وأسلوب حياته وعيشه، كما أنه حرص على انتقاء مواصفات خاصة بها من حيث المظهر خلاف المضمون الذي برمَجه وفق تفكيره، وكذلك قام ببرمجتها على خدمته وتنظيف المنزل وإعداد وجبات الطعام التي يحبها! لا تستغربوا فاليابانيون لديهم كوكب آخر كما قال أحمد الشقيري مقدم برنامج خواطر، وقد شاهدت الصور وهو يجلس معها في الحديقة بينما تصبّ له القهوة، وكذلك صور أخرى وهي تنظف المنزل، ربما قد يئس هذا الإنسان أن يجد الزوجة التي تناسبه وتفهمه جيداً وربما رغب في الهدوء وعدم الوقوع في مشاجرات زوجية هو في غنى عنها، ولكني لم

أفهم جيداً أيمكنه أيضاً أن يتزوجها بعقد زواج شرعي؟ إنه عصر السرعة! كل شيء يبتدئ بسرعة وينتهي في لمح البصر!

عِقّه بحر

حينما يطلب أحد ما مساعدتك له وتقديم الخبرة؛ فتضع بذرة عملك في أرضه وقد لا تربطك به سوى معرفة سطحية أو أخوية عابرة، وأنت تحاول في عملك هذا إنقاذه من الفقر، بمنحه بذورك الخصبة في أرضه البور التي استصلحتها بتفكيرك ومعرفتك فأصبحت طيبة، فتمُرّ الأيام وكلما ناداك هذا الرجل لمساعدته لبيت له واجتهدت في عطائك له، وجلبت له كل ما يهيئ أرضه للإثمار، وحين تثمر الأرض في وقت حصادها، يُغلِق هواتفه ويغلِق باب المزرعة، وتظلّ تبحث عن لوحة أو ورقة صغيرة على الباب ربما قد كتب لك فيها «شكراً» ولكنك لا تجدها؛ ولن تجدها، ما هو شعورك حينها؟ من القسوة أن تشعر بأنك تستحق ذلك، لكنها الحقيقة...فمن زرع خيره في أرض الغير فلا عليه أن ينتظر حتى كلمة شكر؛ وليَمضِ ويحتسب أجره عند الله سبحانه.

ثقافة!

لا أذكر اسم هذا الكاتب الأجنبي صاحب الموضوع؛ ولكني قرأت عنه في إحدى الجرائد المحلية أن إدارة أحد المطارات الأوروبية قد استدعته ليجلس على مكتب في وسط المطار ويكتب على الهواء مباشرة أمام الجماهير والأشخاص المسافرين والقادمين في المطار!

فوضعوا جهاز تصوير فيديومباشر يقوم بنقل صورة مباشرة لشاشة الحاسب الآلي الخاصة بالكاتب، بحيث يشاهد الناس بصورة مباشرة ما يكتبه الكاتب وما يقوم بمسحه أو تعديله من شاشة الحاسب الخاصة به المنقولة على شاشات المطار الكبيرة من خلال «كاميرات التصوير»!

وكان الكاتب يقوم بعمله بكل نشاط وحماسة لأنه سيتصل بالناس بصورة مباشرة بما سيكتبه على الشاشات التي يشاهدها الجميع، وباعتقادي أن هذه الفكرة رائعة وتستحق التطبيق في أحد مطارات الدولة تشجيعاً لحب القراءة وتعليماً لفن الكتابة ونشراً لثقافات الآخرين.

عادة وليس عبادة!

استغربت من توزيع كتيّب «النقاب عادة وليس عبادة» الذي رافق كل نسخ إحدى جرائدنا المحلية، والسبب أن جميع مسلمي العالم يعلمون بحقيقة عنوانه وبعضهم لديه تحفظات حوله، فهناك من يطلق على البرقع الموروث عندنا بالنقاب وهذا أمر غير صحيح. فالبرقع يختلف عن مفهوم النقاب فهويعتبر موروثاً عربياً ويتعلق بهوية المرأة العربية قديماً وحديثاً؛ وفي الخليج بصورة خاصة وعلى نطاق أوسع، فلماذا إذن يُوَزَّع الكتيب بهذا الإصرار والحرص مع كل نسخة من هذه الجريدة المحلية دون غيرها؟ أيرغب المؤلف في طمس هذه الهوية الجميلة الخاصة بالمرأة العربية؟

كان الأجدر أن من قام بتأليف هذا الكتاب أن يؤخر كتابة هذا الكتيب ويقوم أولاً بتأليف كتيّب يعرّف الزائرين والمقيمين من الأجانب بشريعتنا السمحاء ووضع نقاط حمراء يجب عدم تجاوزها من قبلهم باحترام مشاعر المسلمين وعدم ارتداء ما يجرح نظرهم في الأماكن العامة، وأمور أخرى توضِّح حقيقة ديننا السمح المسالم الذي يحب ويحترم جميع الأديان السماوية

الأخرى، وبعد أن يُوَزَّع هذا الكتيب مع كل نسخة من هذه الجريدة المحلية يكون قد أدى دوراً إنسانياً وحضارياً وفكرياً عظيماً في كل الأنحاء التي تُوزع فيها هذه الجريدة، ولابد أن يكون لذلك أثر إيجابي، بل يحبّذ أن تقوم هيئة السياحة في أبوظبي بعد ذلك بتوزيعه مترجماً إلى لغات عالمية عديدة لتعم الفائدة وينعم المواطن بصورة خاصة والعربي براحة البال حين يتجوّل مع زوجته وأبنائه في المراكز التجارية والأخرى حيث لن تتواجد بأثر هذا الكتاب أي من سلبيات المناظر شبه العارية أعزكم الله للسياح والمقيمين. نحن نعلم أن النقاب أو إن كان يعني به البرقع عادة وليس عبادة، ولكننا لن نتخلى عن هذه العادة الجميلة التي ورثناها من جداتنا الجميلات بسترهن الجميل الذي أورث الحياء الفطري لبناتهن وحفيداتهن ولله الحمد، كثير من الأمور التي نقوم بها هي في الأساس ليست عبادة لا يمكنني حصرها هنا، فارتداء المواطنة العباءة عادة ولبس الرجال «للكندورة والعقال» عادة أيضاً، وصبّ القهوة عادة، والترحيب بالضيف عادة وسيادة شخصية الرجل في البيت الخليجي عادة، وتوزيع «العيادي» في العيدين عادة، ووضع الحنة في العيدين عادة إلى آخره!!

لا نريد أن نقرأ عن كل هذه العادات الجميلة التي نتمسك

بها للحفاظ على هويتنا الوطنية – في عنوان كتاب أنها عادة وليست عبادة! نحن نعلم بذلك جيداً و«شكراً بخط عريض» لمؤلف الكتاب لجهده الكبير وتوضيحه لفئة تجهل ذلك وتكاد لا تعد على الأصابع حول مدى أساس صحة هذه العبارة، وأقول له: «أرجو تأليف كتاب فيه إرشادات للسائح فيه توضيح عن هويتنا الدينية المتصلة بهويتنا الوطنية ووضع إرشادات للسياح حول السلوك الواجب نهجه حين زيارة دولة مسلمة كدولتنا الحبيبة دار بوسلطان الله يحفظه».

«مهرجان الظفرة» التراثي الأصيل أثار شجوني حول ما قرأته قريباً؛ وشعرت بالغيرة على عاداتنا الجميلة التي لن تعرقل تطوّراً لوحافظنا عليها، كالبرقع مثلاً لاحصراً وهو«التراث النسائي الحيّ»، فكم هوجميل أن يكون الإنسان صورة تعبر عن هوية المكان. فالبرقع لا ينتمي بصورة خاصة إلا إلى نساء المجتمعات العربية، ولا نود أن تندثر هذه الصورة الراقية الجميلة، العادة ليست منبوذة كي يُنسَب لها البرقع أو النقاب، بل هي محل فخر واعتزاز لنا، فما قيمة الإنسان لو انجرف مع التغيرات الحضارية وترك كل عادة جميلة ورثها، يجب أن يتغير الإنسان نعم ويتطور ولكن هنالك أمور لا يمكن للعولمة أن تمحوها كالهوية

التراثية للشعوب، وكثير من الشعوب القوية مازالت تحتفظ بمثل هذه العادات الأصيلة، فزي «الكيمون» الصيني من لا يعرفه؟ مازال غالي السعر لمن تريد اقتناء ثوب منه إن كان أصلياً، كذلك الأخوات السودانيات انظر إليهن باحترام حين أشاهدهن وهن يلبسن الزي السوداني الجميل، والليبيات والأفريقيات الأخريات والفلسطينيات والماليزيات والروسيات والباكستانيات والهنديات كذلك إلخ..، ورغم اختلاف الأديان إلا أن هنالك احتراماً ووفاء من الأبناء في كل شعوب العالم في الحفاظ وإحياء الزي الوطني القديم للآباء والأجداد ومنع العولمة من محاولات إخفائه وتشويهه للأجيال القادمة.

عباءة وسيجارة!!

في قناة «سما دبي» شاهدت مقابلة لمصممة الأزياء منى المنصوري في حلقة خاصة حول ارتداء الأجنبيات للعباءة الإماراتية، وقد ذكرَتْ موقفاً حدث لها في أحد المراكز التجارية، حيث شاهدت إحدى الأجنبيات وهي ترتدي العباءة وكانت تدخّن بشراهة أمام مرأى من السياح والمقيمين؛ كما كانت بحسب وصفها غير محترمة السلوك؛ ما جعل الأخت المواطنة منى

من باب الغيرة على الزي الإماراتي الوطني الخاص بالمواطنات من لفت انتباه هذه المرأة المدخنة ونصحها بألا تقوم بهذه التصرفات التي من شأنها تشويه سمعة الخليجيات والمواطنات بصورة خاصة، فكل من يمر بها سيعتقد أنها مواطنة بحكم ارتدائها للعباءة، فقامت المدخنة باستدعاء الأمن للمواطنة؟ يا للهول؟ أجنبية تستدعي رجل أمن لبنت الأرض التي يقطن عليها الجميع!! إنه أمر يدعو إلى البكاء والضحك في آن واحد؟ أحيي الأخت منى المنصوري من هنا على شجاعتها وغيرتها المنطلقة من روحها الوطنية العالية ونصحها للمدخنة الأجنبية بالزي الإماراتي، فنحن لانعلم جيداً ماهدف ومن وراء هذه المرأة من القيام بسلوك سيئ في زيّنا الأصيل؟..أهكذا رد الإحسان لأهل المكان؟ والموقف الذي حدث كان يستدعي طلب الأخت منى المنصوري الأمن للمدخنة الأجنبية وليس العكس، فإن كانت الأجنبية لم ترتكب خطأً فلم الخوف من مواطنة محترمة واستدعاء الأمن؟ كثيرات يرتدين عباءاتنا وبصورة مبهرجة ولا أعلم إن كنّ مواطنات أم لا، فقد اختلط الحابل بالنابل

ولم نعد نميز فيما بين بناتنا المواطنات والأخريات، فالمواطنة يجب أن ترتدي زيّها الوطني بحب وتقديس واحترام لا للتشويه

وجلب السمعة السيئة له، فلم تصرّ الكثيرات على زرع «القبب» من فوق رؤوسهن وجعل عباءاتهن «فساتين عرس مرصصة»؟ ووضع مساحيق تجميل خاصة بالأعراس «والآي شدو 24 ساعة» على أعينهن؟ هذا موضوع آخر لنا فيه حديث آخر.

بريدنا الوارد

كما أن لبريدنا الإلكتروني أقساماً كثيرة للرسائل القديمة والجديدة من المحذوفات والمسودات وأخرى فإن في أعماقنا أقساماً مثلها تماماً!

الرسائل الجديدة هي الأصدقاء والأشخاص الحاليون الذين نتعامل معهم يومياً بصورة متجددة كذلك هي الأمور المتجددة والتي نتعامل معها بصورة دائمة، بينما المسودات هي أولئك الأشخاص الذين مازالوا تحت الاختبار والتمحيص وفي انتظار إرسالهم إلى حيز الفناء أو البقاء في ذاكرتنا؛ وقد تكون من الأمور الحياتية التي تتطلب التأني وعدم الاستعجال لدراستها ثم اتخاذ قرار يحسم موقفنا منها، أما قسم المحذوفات فهو الأمر المهم الذي تأثرت به، فكثير من الأشخاص قد عاشوا معنا ومازالوا؛ ولكنهم بطريقة أو أخرى قد يشعرون بأنهم قد وُضِعوا في قسم المحذوفات بغير عمد منا رغم مرورهم بنا كل يوم، مثال: الطالب الذي قدم بسعادة وثقة بحثه الذي سهر على إعداده حين استلمه المعلم ورمى به بلا مبالاة على الطاولة؛ ثم وضع له علامة سيئة حطّمَتْ طموحه، وصديق أيام الدراسة حين يمر بك ملوّحاً بيده

للسلام عليك حين لقائك به من بعد أعوام طويلة؛ هل رددت عليه السلام أم تجاهلت نداءه لتضعه في قسم المحذوفات؟ الخادمة التي تأتي بالجرائد كل يوم إلينا لنقرأها وتنقل أمتعتنا المعبأة بالأشياء الحلوة إلينا؛ أفكر أحد منا أن يعطيها شيئاً من تلك الأشياء الحلوة؟ أو في النظر إليها وسؤالها عن الحزن الذي لاح في وجهها في لحظة ما؟ ذلك الطالب.. صديق أيام الدراسة..الخادمة، أشخاص قد لا تربطنا بهم صلة قربى وقد لا نلتقي بهم كل يوم ولكن لا يجب علينا وضعهم في قسم المحذوفات، فحذفهم يعني عدم الإنسانية والاحترام لجهد الآخرين والاستهانة بالعلاقات الإنسانية، فالصديق القديم كالنحت على الحجر لا يمكن أن يمحوه أي تغيير، وكذلك طموح المجتهد هوكالصبح الذي يشرق ولو بعد حين ويجب منحه الثناء والنظر إليه بامتنان وتقدير، وكذلك الخادمة التي تؤدي عملها بحب رغم غربتها ومن الرحمة مراعاة ذلك ومنحها بعضاً من مشاعرنا النبيلة وأشيائنا الحلوة أيضاً. فتحت ذات يوم قسم المحذوفات في بريدي الإلكتروني فإذا بي أجد رسالة قيّمة وأخرى قديمة ولكنها مهمة، ومن هنا بدأت أبحث عن رسائل أخرى، وأمور أخرى لعلها هنا وهناك.

براءة ونسيان

جلست ذات يوم أشاهد مجموعة من الأطفال تجمعهم صلة قربى، ولاحظت كيف فرحوا حين التقوا ببعضهم وتعالت أصواتهم بفرح تعبيراً عن ارتياحهم بالالتقاء من بعد غياب، وكانوا يملؤون المكان ضجيجاً أثناء لعبهم، وقد كان ضجيجاً جميلاً كصوت العصافير المسبحة المغردة بصوت عالٍ قبيل لحظات غروب الشمس، وبعد مرور بضع ساعات سمعت بكاء بعضهم بصوت عالٍ بينما البعض الآخر سمعت وقع أقدامه الصغيرة وهو يركض، وحين ذهبت إليهم علمت أنه قد حان وقت ذهاب البعض إلى منزله مع ذويه بينما ظلت المجموعة الأخرى من الأطفال تبكي لرغبتهم في بقاء أصدقائهم الذين حضروا للزيارة وذاك الذي يركض قد كان متفائلاً بقدرته على الذهاب معهم متناسياً أنه مازال في الثالثة من عمره، وبعد نصف ساعة أو أقل سمعت صوت الأطفال الذين كانوا يبكون فراق أصدقائهم وقد تعالت ضحكاتهم البريئة في اللعب مع بعضهم مرة أخرى! فقلت سبحان الله الأطفال كالكبار لهم عالم شبيه جداً بنا، فهم يفرحون بلقاء أحبتهم ويملؤون الدنيا طرباً وسعادة حين يلتقون بهم، كما

أنهم يحزنون ويبكون لحظة الفراق، ولكن بأسلوبهم الطفولي الخاص عبر البكاء ومحاولة الهرب للحاق بأحبتهم دون جدوى. ولكن..الأمر الذي نختلف به كلياً عنهم، أن لديهم القدرة الفطرية البريئة النقية والأصدق منا في النسيان، هم ينسون سريعاً بمجرد تبخّر الدمع ومسحه بالأكمام؛ بينما لا يمكننا النسيان حتى لوجفّ الدمع وجفّ الحبر وجفّ الزهر، يا لها من براءة تعلمنا الكثير، قد تستوقفنا الذكريات ويعزّ علينا النسيان لمن أحببناهم وقد رحلوا، ولكن أيمكن للذكريات أن تعيدهم؟...بإمكاننا أن نتناسى ولكن لا يمكننا أن ننسى.